

روح المعاني

من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغة الآية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفما أي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم ما لا يحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها أمر البعث فإن من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي جزم بأن من قدر على خلق البشر أولاً من تراب لم يذق ماء الحياة قط وأنشأه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى بتصريفه في أطوار الخلقة وتحويله من حال إلى حال مع ما بين تلك الأطوال والأحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على إعادته بل هي أهون في القياس وقدر بعضهم المفعول خاصاً أي لنبين لكم أمر البعث وليس بذاك .

وأبعد جداً من زعم أن المعنى لنبين لكم أن التخليق اختيار من الفاعل ولو لا ذلك ما صار بعض أفراد المضغة غير مخلوق وقرأ ابن أبي عبيدة ليبين بالياء على طريق الالتفات وكذا قرأ قوله تعالى : ونقر في الأرحام ما نشاء وقرأ الجمهور بالنون والجملة استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وتوادر الأطوار عليهم أي ونقر في الأرحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها إلى أجل مسمى هو وقت الوضع وأدناه ستة أشهر وأقصاه عندنا سنتان وعند الشافعي عليه الرحمة أربع سنين وعن يعقوب أنه قرأ ونقر بفتح النون وضم القاف من قررت الماء إذا صببته وقرأ يحيى بن وثاب ما نشاء بكسر النون .

ثم نخرجكم أي من الأرحام بعد إقراركم فيها عند تمام الأجل المسمى طفلاً حال من ضمير المخاطبين والأفراد إما باعتبار كل واحد منهم أو بإرادة الجنس الصادق على الكثير أو لأنه مصدر فيستوي فيه الواحد وغيره كما قال المبرد أو لأن المراد طفلاً طفلاً فاختصر كما نقله الجلال السيوطي في الأشباه النحوية .

وقرأ عمر بن شبة يخرجكم بالياء ثم لتبلغوا أشدكم أي كمالكم في القوة والعقل والتميز وفي القاموس حتى يبلغ أشده ويضم أوله أي قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين واحد جاء على بناء الجمع كأنك ولا نظير لهما أو جمع لا واحد له من لفظه أو واحده شدة بالكسر مع أن فعلة لا تجمع على أفعل أي قياساً فلا يرد نعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب أو شد كذب وأذوب وما هما بمسموعين بل قياساً و لتبلغوا قال العلامة : أبو السعود : علة لنخرجكم معطوف على علة أخرى مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا الخ وقيل علة لمحذوف والتقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ .

وجوز العلامة الطيبي أن يكون التقدير ثم لتبلغوا أشدكم كان ذلك الإقرار والإخراج وقيل

إنه عطف على نبين وتعقبه العلامة بأنه مخل بجزالة النظم الكريم وجعله كغيره عطفاً عليه على قراءة نقر ونخرج بالنصب وهي قراءة المفضل وأبي حاتم إلا أن الأول قرأ بالنون والثاني قرأ بالياء وكذا جعل الفعلين عطفاً عليه وقال : المعنى خلقناكم على التدرّج المذكور لأمرين أحدهما أن نبين شؤوننا والثاني أن نقركم في الأرحام ثم نخرجكم صغاراً ثم لتبلغوا أشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع أن حصوله بالفعل بعد الكل للإيدان بأنه غاية الغايات ومقصود بالذات وإعادة اللام في لتبلغوا مع تجريد نقر ونخرج عنها للإشعار بأصالة البلوغ بالنسبة إلى الإقرار والإخراج إذ عليه يدور التكليف المؤدي إلى السعادة والشقاوة وإيثار البلوغ مسنداً إلى المخاطبين على التبليغ مسنداً إليه تعالى كالأفعال السابقة لأنه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم